## إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَـاةَ لأبي القاسم الشابي

إرادة الحياة، قصيدة نظمها أبو القاسم الشابي في 26 جمادى الأولى 1352

الموافق 16 سبتمبر 1933،وتُعدّ من أشهر القصائد في الشعر العربي الحديث.
استُخدمت أبيات من القصيدة في النشيد الوطني التونسي

إذا الشّعْبُ يَوْمَاً أرَادَ الْحَيَـاةَ فَلا بُدَّ (للباطل أن يندحر )

وَلا بُـدَّ لِلَّيْـلِ أنْ يَنْجَلِـي وَلا بُدَّ للقَيْدِ أَنْ يَـنْكَسِـر

وَمَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقُ الْحَيَـاةِ تَبَخَّـرَ في جَوِّهَـا وَانْدَثَـر

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْـهُ الْحَيَاةُ مِنْ صَفْعَـةِ العَـدَم المُنْتَصِر

كَذلِكَ قَالَـتْ لِـيَ الكَائِنَاتُ وَحَدّثَنـي رُوحُـهَا المُسْتَتِر

وَدَمدَمَتِ الرّيحُ بَيْنَ الفِجَاجِ وَفَوْقَ الجِبَال وَتَحْتَ الشَّجَر

إذَا مَا طَمَحْـتُ إلِى غَـايَةٍ رَكِبْتُ الْمُنَى وَنَسِيتُ الحَذَر

وَلَمْ أَتَجَنَّبْ وُعُـورَ الشِّعَـابِ وَلا كُبَّـةَ اللَّهَـبِ المُسْتَعِـر

وَمَنْ يتهيب صُعُودَ الجِبَـالِ يَعِشْ أَبَدَ الدَّهْرِ بَيْنَ الحُفَـر

فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دِمَاءُ الشَّبَـابِ وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَاحٌ أُخَـر

وَأَطْرَقْتُ ، أُصْغِي لِقَصْفِ الرُّعُودِ  وَعَزْفِ الرِّيَاحِ وَوَقْعِ المَطَـر

وَقَالَتْ لِيَ الأَرْضُ – لَمَّا سَأَلْتُ :  " أَيَا أُمُّ هَلْ تَكْرَهِينَ البَشَر؟"

"أُبَارِكُ في النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ  وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الخَطَـر

وأَلْعَنُ مَنْ لا يُمَاشِي الزَّمَـانَ  وَيَقْنَعُ بِالعَيْشِ عَيْشِ الحَجَر

هُوَ الكَوْنُ حَيٌّ ، يُحِـبُّ الحَيَاةَ  وَيَحْتَقِرُ الْمَيْتَ مَهْمَا كَـبُر

فَلا الأُفْقُ يَحْضُنُ مَيْتَ الطُّيُورِ  وَلا النَّحْلُ يَلْثِمُ مَيْتَ الزَّهَـر

وَلَـوْلا أُمُومَةُ قَلْبِي الرَّؤُومِ  لَمَا ضَمَّتِ المَيْتَ تِلْكَ الحُفَر

فَوَيْلٌ لِمَنْ لَمْ تَشُقْهُ الحَيَـاةُ  مِنْ لَعْنَةِ العَـدَمِ المُنْتَصِـر!"

وفي لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِي الخَرِيفِ  مُثَقَّلَـةٍ بِالأَسَـى وَالضَّجَـر

سَكِرْتُ بِهَا مِنْ ضِيَاءِ النُّجُومِ  وَغَنَّيْتُ لِلْحُزْنِ حَتَّى سَكِـر

سَأَلْتُ الدُّجَى: هَلْ تُعِيدُ الْحَيَاةُ  لِمَا أَذْبَلَتْـهُ رَبِيعَ العُمُـر؟

فَلَمْ تَتَكَلَّمْ شِفَـاهُ الظَّلامِ  وَلَمْ تَتَرَنَّـمْ عَذَارَى السَّحَـر

وَقَالَ لِيَ الْغَـابُ في رِقَّـةٍ  مُحَبَّبَـةٍ مِثْلَ خَفْـقِ الْوَتَـر

يَجِيءُ الشِّتَاءُ ، شِتَاءُ الضَّبَابِ  شِتَاءُ الثُّلُوجِ ، شِتَاءُ الْمَطَـر

فَيَنْطَفِيء السِّحْرُ ، سِحْرُ الغُصُونِ  وَسِحْرُ الزُّهُورِ وَسِحْرُ الثَّمَر

وَسِحْرُ الْمَسَاءِ الشَّجِيِّ الوَدِيعِ  وَسِحْرُ الْمُرُوجِ الشَّهِيِّ العَطِر

وَتَهْوِي الْغُصُونُ وَأَوْرَاقُهَا  وَأَزْهَارُ عَهْدٍ حَبِيبٍ نَضِر

وَتَلْهُو بِهَا الرِّيحُ في كُلِّ وَادٍ  وَيَدْفِنُهَا السَّيْلُ أَنَّى عَبَر

وَيَفْنَى الجَمِيعُ كَحُلْمٍ بَدِيعٍ  تَأَلَّقَ في مُهْجَةٍ وَانْدَثَر

وَتَبْقَى البُذُورُ التي حُمِّلَتْ  ذَخِيرَةَ عُمْرٍ جَمِيلٍ غَبَر

وَذِكْرَى فُصُولٍ ، وَرُؤْيَا حَيَاةٍ  وَأَشْبَاح دُنْيَا تَلاشَتْ زُمَر

مُعَانِقَةً وَهْيَ تَحْتَ الضَّبَابِ  وَتَحْتَ الثُّلُوجِ وَتَحْتَ الْمَدَر

لَطِيفَ الحَيَاةِ الذي لا يُمَلُّ  وَقَلْبَ الرَّبِيعِ الشَّذِيِّ الخَضِر

وَحَالِمَةً بِأَغَانِي الطُّيُورِ  وَعِطْرِ الزُّهُورِ وَطَعْمِ الثَّمَر

وَمَا هُوَ إِلاَّ كَخَفْقِ الجَنَاحِ  حَتَّى نَمَا شَوْقُهَا وَانْتَصَر

فصدّعت الأرض من فوقها  وأبصرت الكون عذب الصور

وجاءَ الربيعُ بأنغامه  وأحلامهِ وصِباهُ العطِر

وقبلّها قبلاً في الشفاه  تعيد الشباب الذي قد غبر

وقالَ لَهَا : قد مُنحتِ الحياةَ  وخُلّدتِ في نسلكِ الْمُدّخر

وبارككِ النورُ فاستقبلي  شبابَ الحياةِ وخصبَ العُمر

ومن تعبدُ النورَ أحلامهُ  يباركهُ النورُ أنّى ظَهر

إليك الفضاء ، إليك الضياء  إليك الثرى الحالِمِ الْمُزْدَهِر

إليك الجمال الذي لا يبيد  إليك الوجود الرحيب النضر

فميدي كما شئتِ فوق الحقول  بِحلو الثمار وغض الزهر

وناجي النسيم وناجي الغيوم  وناجي النجوم وناجي القمر

وناجي الحياة وأشواقها  وفتنة هذا الوجود الأغر

وشف الدجى عن جمال عميقٍ  يشب الخيال ويذكي الفكر

ومُدَّ عَلَى الْكَوْنِ سِحْرٌ غَرِيبٌ  يُصَرِّفُهُ سَاحِرٌ مُقْتَدِر

وَضَاءَتْ شُمُوعُ النُّجُومِ الوِضَاء  وَضَاعَ البَخُورُ ، بَخُورُ الزَّهَر

وَرَفْرَفَ رُوحٌ غَرِيبُ الجَمَالِ  بِأَجْنِحَةٍ مِنْ ضِيَاءِ الْقَمَر

وَرَنَّ نَشِيدُ الْحَيَاةِ الْمُقَدَّسِ  في هَيْكَلٍ حَالِمٍ قَدْ سُحِر

وَأَعْلَنَ في الْكَوْنِ أَنَّ الطُّمُوحَ  لَهِيبُ الْحَيَاةِ وَرُوحُ الظَّفَر

إِذَا طَمَحَتْ لِلْحَيَاةِ النُّفُوسُ  فَلا بُدَّ (للحق أن ينتصر )

تم تغيير عبارة (فلا بد أن يستجيب القدر ) لأن الفاعل للأقدار هو الله والله لا يجب عليه شيء كما هي عقيدة أهل السنة ، فمن الأدب مع الله ألانوافق الشاعر ـ رحمه الله – على ما قال